بسم الله الرحمن الرحيم

التكامل بين الفكر الجغرافي والبحث في الظاهرات الجغرافية
رؤية في تحديد مكانة علم الجغرافيا

أ.د مساعد بن عبدالرحمن الجخيدب
قسم الجغرافيا
جامعة القصيم/ المملكة العربية السعودية

بحث مقدم لمؤتمر الجغرافيا والتغيرات المعاصرة بجامعة طيبة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م

التكامل بين الفكر الجغرافي و البحث في الظاهرات الجغرافية

رؤية في تحديد مكانة علم الجغرافيا

أ.د مساعد بن عبد الرحمن الجخيدب
قسم الجغرافيا
جامعة القصيم / السعودية

توطئة :

يحتاج كل علم من العلوم إلى إبراز قضاياه الفلسفية التي تمكنه من الذود عن مكانته وبالتالي استدامة عطاءاته المعرفية، والجغرافيا كأحد العلوم في المنظومة المعرفية بحاجة إلى كشف مضمونه الفكري وببيان ميدانه الذي يقدم فيه إبداعاته النظرية والتطبيقية. والتنقص من أي علم يكون أحد أسبابه تخاذل المنتسبين إليه في بيان أسسه التي قام عليها واستعراض رصيده الفكري الذي سطر في ثنايا مخرجاته التي امتدت منذ فجر ما قبل التاريخ حتى وقتنا الحاضر.

والبحث سيناقش قضايا منهجية في مسألة التكامل بين الفكر الجغرافي والبحث الجغرافي ليدلف من خلالها إلى دحض الشبه الموجه إلى العلم عبر استطلاع ميداني يتم فيه تحليل العوامل والأسباب التي جعلت نظر البعض إلى علم الجغرافيا كأنه مزيج مختلط من علوم شتى.

أولا : الإطار المنهجي والدلالات الاصطلاحية في الموضوع

١-١: مشكلة البحث

يرى بعض الجغرافيين أن الفكر الجغرافي - كمقرر أو مضمون علمي - يجب أن لا يزيد الاهتمام به أكثر مما أعطي له من حيز الدراسة الجامعية فقط، بل وربما يعزف الكثير منهم عن تدريس المقرر لأسباب يعود أبرزها إلى ماهية الفكر الجغرافي عنده. ويجد المتتبع للطرح الذي يعكس ويعالج ويناقش واقع الفكر الجغرافي في الأوعية المعلوماتية - في العالم العربي- بأنها محدودة وربما تكاد مقصورة في النزر اليسير من كتب التراث أو الفكر الجغرافي الذي مضى على تأليفها عشرات السنين.

ويعكس تزود الباحث بأسرار ومعطيات الفكر الجغرافي التخصصي استدامة في جودة المعالجة والتفكير والتجديد في متابعة القضايا والظاهرات الجغرافية الآنية، بل ويمكن الجزم بأن الطرح الثاقب للأطروحات، أو الأعمال، أو الأبحاث، أو الاستدراكات الإبداعية لم يكن لها أن تتحقق إلا بالتضلع بالفكر الجغرافي. ويعتمد مقدار الإضافة في أي دراسة جغرافية على حجم المعلومة التي يمتلكها الباحث في الفكر الجغرافي؛ وبهذا تتبين القيمة العلمية للفكر الجغرافي التي يمكن تسليط مزيد من البيان على قيمته في البحث الجغرافي.

١-٢: ماذا نعني بالفكر الجغرافي؟

إن كل ما دون أو نقل - من معلومات طبيعية أو بشرية - منذ فجر التاريخ يمكن أن يصنف ضمن وعاء الفكر الجغرافي. وهذه المعلومات المدونة أو المنقولة عرضة للاندثار، ومنها ما يصل إلى أجيال لاحقة تقوم بتقويم الفكرة وتطويرها، ولا شك أن ما يبقى من المعلومات الجغرافية المتناقلة هو ما يجد له رصيد يثبته واقع الظاهرة الجغرافية. وما يتأصل من الفكر الجغرافي يمكن

حصره في محورين وهما النظرية والقانون، وما دون ذلك ما هو إلا عبارة عن أفكار تتداول فترة من الزمن حتى يتم التواصل إلى مفاهيم وأفكار تناقضها وبالتالي تحل محلها وهكذا، أو أنها تبقى لتكون محفوظة في ذمة التاريخ كإسهامات علمية سابقة يسترشد بها في دراسات الجغرافية التاريخية.

١-٣: مصفوفة الفكر الجغرافي

تتسع مصفوفة الفكر الجغرافي والتي تدعمها وتزيد من حجمها الأطروحات الرصينة، والأعمال المحبوكة، والأبحاث التي تأصل لحل المشكلة، والاستدراكات النيرة. وتتسع المصفوفة في أصول وفروع الجغرافيا بشكل يجعل الإحاطة بهذا فضلا عن حصرها غير ممكنا، وهنا يتبادر سؤال: هل الباحث الجغرافي ملزم بمعرفة أغلب الرصيد الفكري للجغرافيا (الفكر الجغرافي) ولماذا؟ الجواب بالطبع لا والسبب يعود إلى:

١) إن الإحاطة بذلك متعذرا بل ربما يكون مستحيلا.

٢) يتنافى مع التخصص الجغرافي الضيق؛ فالباحث مطالب بالتركيز على الفكر الجغرافي الذي يدعم بها محاور ومتغيرات بحثه.

٣) لا يمثل ذلك قيمة علمية للبحث الجغرافي بقدر ما يمثل ثقافة جغرافية؛ يمكن أن تفيد فقط الراغبين من الجغرافيين في نشر المعرفة الجغرافية في كتبهم التي يتصدون لتأليفها.

ويتطلب من الباحث الجغرافي العناية بالفكر الجغرافي من خلال :

١) التبحر في الفكر الجغرافي المرتبط بتخصصه فقط، لأن ذلك سيفتح له آفاقا يستطيع من خلالها الإضافة العلمية، ويجب أن لا يقتصر ذلك على ما دون في

العصر الحالي بل يحسن الرجوع إلى كتب التراث المليئة بالأسس التي تحكي واقع الظاهرة الجغرافية.

٢) استيعاب أغلب النظريات والقوانين المؤثرة في موضوعه، لكونها الأداة التي يستطيع بها قياس سلوك الظاهرة التي يقوم بدراستها من حيث الانطباق أو عدم التوافق مع النظرية.

٣) الاستبصار بالآراء والاستشهادات والتحليلات الجغرافية المدونة التي كتبت في تحليل الظاهرة قيد الدراسة، حتى يتمكن من عمل المطابقات المكانية التي بها تظهر إمكاناته في الإضافة العلمية للموضوع أولا ولتخصصه ثانيا.

١-٤: القيمة المعرفية للفكر الجغرافي

تظهر القيمة المعرفية المبنية على استيعاب الإرث الجغرافي – الفكر الجغرافي- في محورين أساسيين يستطيع من خلالها الباحث رفع قدراته البحثية وهما الجودة في التفكير والكفاءة في التحليل:

١) **الجودة في التفكير:** يستطيع الباحث الذي يمتلك مرجعية ضخمة في الفكر الجغرافي من الموازنة بين النصوص المدونة في الفكر الجغرافي مما يجعل هناك تنمية مباشرة لنقد المعلومات بالبراهين المبنية على مرئيات من تشرب أفكارهم الجغرافية التي تتمتع بدقة الدلالة الجغرافية. ولا تقتصر الجودة على مجرد النقد فقط بل تتعدى ذلك إلى تطور الحس الجغرافي من خلال تجديد الاستنتاجات الجغرافية؛ فمثلا أصبحت الحتمية الطبيعية التي رصدت في المؤلفات الجغرافية السابقة تنافسها وربما تطغى عليها في العصر الراهن الحتمية البشرية (المتعدية) التي أصبحت تقلق المعنيين بالمحافظة على استدامة

الموارد الطبيعية، فالإنسان بما منحه الله من طاقات وقدرات يسرها له أستطاع أن يلغي ما كان يعرف بالحتمية الطبيعية إلا في حدود ضيقة. ويستطيع الباحث بما يمتلكه من معلومات جغرافية - استطاع أن يطلع عليها فيما سبق - أن يقدم ويدعم الطرح الذي يقدمه في بحثه بجملة من الثوابت والبراهين التي تقنع المتلقي المتخصص.

٢) **الكفاءة في التحليل:** من البديهيات أن الاطلاع على مكنونات الفكر الجغرافي ستجعل الباحث لديه مهارات عالية في الاستعراض الوصفي للظاهرة الجغرافية التي يقوم بتحليلها، كما أن ذلك سيمكنه من استنطاق جزئيات دقيقة في الظاهرة قيد الدراسة أثناء وصفه لظروفها الجغرافية. والقدرات الوصفية العالية لها تأثير كلي على دقة الاستنتاجات التي يمكن أن يقدمها الباحث كفرضيات تدعم منهجه البحثي، وسيصل بعدها إلى مثالية في عقد المقارنات واستنباط العلاقات وتحديد التباينات المكانية، وبهذه المنظومة التحليلية سيصل إلى الأحكام الضابطة التي تؤثر وتتأثر بالظاهرة الجغرافية. ولعل هذه الكفاءة التحليلية قادرة على بناء النماذج التي تحاكي سلوك الظاهرة.

١-٥: البحث الجغرافي تغذية راجعة للفكر الجغرافي

تعد نتائج الأبحاث الجغرافية الجادة تغذية راجعة تدخل ضمن مصفوفة الفكر الجغرافي، وبها يستمر البناء المعرفي لهذا الفن من العلوم. ويساعد البحث الجغرافي على تنقية وفرز النصوص الجغرافية التي تفسر العلاقات بين المتغيرات وتصحيحها وبالتالي إسقاط هذه الثغرات العلمية من مضمون الفكر الجغرافي؛ فمثلا عندما ذكر طاليس أن الأرض كأنها عنبة طافية يحيط بها الماء

استمرت هذه الفكرة وترسخت تلك المعلومة في الفكر الجغرافي لحين جاءت النتيجة التي ترى أن الأرض كروية وبهذه النتيجة أسقطت فكرة طاليس وأزيحت عن الاستشهاد من قبل باحثين آخرين.

والأبحاث الجغرافية بمثابة الثمرة التي تقدمها شجرة الجغرافيا (الفكر الجغرافي) فهي خلاصة للتغذية المستقاة من جذر وأصل وفروع تلك الشجرة الفكرية التي ضربت أوتادها في الأرض منذ خلق الله الإنسان الذي تفاعل مع المقومات والإمكانات فيها وبدأ يروي ويدون صور تلك التفاعل والتأثيرات المصاحبة لذلك. وإذا كانت الأبحاث متباينة في متنتها العلمية وإضافتها المعرفية فهذه صفة الثمار التي تكون ناضجة ووافرة أحيانا ودون ذلك في بقية الأوقات.

١-٦: الاتساع في المخرجات البحثية

إن ما ذكر في النقطة السابقة قد يشكل عند البعض صعوبة في إلمام الفكر الجغرافي بكل إضافة بحثية أضافها المختصون في بقاع شتى وبأقسام لا حصر لها بسبب الاتساع في قنوات الطرح التي تقدمها أقسام متعددة وبلغات مختلفة، وهذا بلا شك يعد أحد عوائق التواصل الكبرى بين البحث والفكر الجغرافي، ولكن جودة وسائل الاتصالات الحديثة في نقل المعلومات وتوفيرها لدى الباحثين قد يكون أحد العوامل المساعدة من جمع ونقل ما يتيسر من تلك المعلومات الرصينة إلى مصفوفة الفكر الجغرافي، كما يستطيع الباحثين الذين قدموا إضافات رائدة تقديم أطروحاتهم في المنتديات الجغرافية التي تعقد لتسويقها وبالتالي تقويمها ومن ثم إضافتها – عند ثبوت جدواها وجدارتها – إلى الفكر الجغرافي. أن الجغرافيين العرب الآن، وخاصة منهم على رأس العمل مطالبون بإيجاد قناة تجمع شتات الفكر الجغرافي العربي

الذي دون في هذا القرن، ولعل الجمعيات الجغرافية تكون منارات لتبني هذا المشروع وفق أسس يتفق عليها المختصون لنخرج بعدها الفكر الجغرافي الذي قدمناه للأجيال من بعدنا وبهذا نكون حققنا مفهوم استدامة الفكر الجغرافي.

١-٧: تجارب رائدة

قدم وليد عبدالعزيز المنيس (١٤١٠هـ) مشروعا علميا استطاع به تحديد الإضافة العلمية في فرع الجغرافيا الحضرية في حقبة المدرسة الإسلامية، حيث أبان دورها في تطوير هذا الفرع بالنسبة للجغرافي، وفي الوقت ذاته استكمل المنيس (١٤١٢هـ) مشروعا آخر استطاع به بيان جغرافية الحضر عند المدارس الغربية في محاولة لرصد أبرز الثمرات البحثية الغربية التي أضيفت بالفعل إلى الفكر الجغرافي الحضري.

وأضاف محمد شوقي مكي (١٤١٥هـ) مشروعا حاول فيه جمع وإبراز مناهج البحث في جغرافية الحضر موضحا المساهمة التي قدمها بعض الجغرافيين السعوديين. ويمكن لمثل هذه المشاريع أن تؤتي ثمارها برفع رصيد الفكر الجغرافي في هذا التخصص، ومن المؤمل أن يحذو المتخصصون في أفرع الجغرافيا الأخرى ويطبقوا تلك التجارب على تخصصاتهم الدقيقة.

١-٨: قيمة الإطار النظري والدراسات السابقة

يغفل أغلب الباحثين عن قيمة الإطار النظري في البناء المعرفي للجغرافيا حينما تدون النظريات بلا تمرير لقيمتها العلمية في موضوع البحث وكأنها ترويسات أعتاد عليها الباحثون؛ فالنظريات هي رصيد فكري مختزن في الموروث الجغرافي. والباحث بحاجة لتوظيف مدلول النظرية العلمي في المحور الرئيس للدراسة؛ فنظرية قلب الأرض لماكندر البريطاني - مثلا - وقبلها نظرية أطوار

الدولة لابن خلدون وغيرها من النظريات تهم الباحث في الجغرافيا السياسية بمعنى كيف يستأنس بها الباحث في أطروحته إذا كان موضوعها يعالج ظاهرة في الجغرافيا السياسية ؟

وتعد أغلب الدراسات السابقة صورا تطبيقية لمخرجات النظريات التي ارتضيت في الجغرافيا ، وأصبحت أبرز عناصر الفكر الجغرافي، فمثلا ظهرت تعديلات لنظرية الأماكن المركزية لكريستالر (Christaller) من قبل لوش (Losch) بغرض إعادة تطبيق افتراضات نظرية كريستالر بصورة عكسية عندما بدأ بالسلع والوظائف ذات الترتيب الأدنى تم تصور مراكز إنتاج وخدمات تسويقية في صورة تصاعدية بدأ بالقرية إلى القرية إلى بلدة إلى مدينة ثم إلى الحاضرة الرئيسة (الجخيدب، ١٤٢٢هـ، ص٨٥).

١-٩: منهجية البحث قائمة على الفكر الجغرافي

يختلط على كثير من الباحثين إبراز مناهج الدراسة في أبحاثهم لقصور التتبع الجغرافي لأصول تلك المناهج وما ترتبط به من تأثير الحتمية والإمكانية فيهما؛ فالحتمية لها باع في بيان صور المنهج الاستقرائي التي تستعرض به ماهية الظاهرة وخصائصها الوصفية، بينما الإمكانية يمكن أن تفسر المنهج الاستنتاجي الذي يمكن به استنباط بعض المتغيرات غير المباشرة المؤثرة والمتأثرة بالظاهرة. وتقوم المناهج الجغرافية على أصول فلسفية تطورت منذ أمد فمثلا أورد ابن رستة في كتاب الأعلاق النفسية منهجية استنتاجية في مسألة قياس الخسوف بين موضعين.

١-١٠: الأساليب الجغرافية لها أصول في الفكر الجغرافي

ظهرت وطبقت أساليب معالجة الظاهرات في توزيعها وبيان خصائصها وتحديد علاقاتها بغيرها من الظاهرات في بناء تراكمي سجل في مدونات الفكر الجغرافي، وجدير

بالباحث الاطلاع على الجذور التركيبية لهذه الأساليب لمعرفة مناسبتها لموضوع بحثه وتسهيل تطبيقاتها عند تعلم دلالاتها الأولية؛ فنظرية الرتبة والحجم لقياس تراتب المدن في الإقليم والتي ظهرت تطبيقاتها قبل منتصف القرن العشرين (١٩٤١م) من قبل العالم الأمريكي زيف Zipf على مدن الولايات المتحدة الأمريكية استطاع بها استنباط الصيغة الموسومة بقاعدة الرتبة والحجم المسجلة باسمه، ثم جاء الحميدي بعد نصف قرن (١٩٩٢م) ليعدل هذه الصيغة وفق إطار رياضي صحيح. والسؤال كيف استطاع الحميدي اكتشاف الخطأ العلمي لهذه الصيغة الرياضية؟ جاء الاكتشاف وتعديل الصيغة بعد دراسة مستفيضة في موضوع المدن حتم عليه الرجوع إلى أصول هذه النظرية في كتب الفكر الجغرافي الحديث، وبالتحديد إلى كتاب زيف "الوحدة الوطنية" ولقد بذل جهدا في الحصول عليه في إحدى المكتبات الأمريكية ليصل إلى النسخة الأصلية للكتاب، واستطاع الحكم على مفهوم النظرية دون الحاجة إلى النقل عن أحد من الباحثين، وبهذا استطاع أن يضع البناء النظري المقترح متوافقا مع ما وجده في الأصول النظرية لهذه الصيغة من قبل منظرها (زيف).

١-١١: البحث الجغرافي والفكر الجغرافي

يعد البحث الجغرافي وسيلة لتطوير علم الجغرافيا وبالتالي زيادة الرصيد الفكري للجغرافيا، وتعد أغلب النظريات الجغرافية - في الفكر الجغرافي - حصيلة دراسات وأبحاث جغرافية أستطاع الباحثون صياغتها ولقيت قبولا لدى أوساط المهتمين، إن النظريات وفرضيات البحث في تفاعل مستمر وتطور دائم؛ فالنظرية تسمح ببناء فرضيات يؤدي اختبارها إلى تقويم النظر في هيكل النظرية وصياغتها وبهذا تستمر الدورة بشكل لا نهاية له بين البحث الجغرافي وأصوله (الفرا، ١٤١٠هـ، ص ص ١٣-١٤). وتعد الفرضيات أساسا لجميع البحوث الإبداعية وهي

هدف لعلم الجغرافيا الذي يقوم على منطق التفسير لسلوك الظاهرات الطبيعية والبشرية المتباينة.

١-١٢: الطرح الجغرافي المتجدد

يعتقد بعضا من الجغرافيين أن الجغرافيا فقدت مكانتها بتشعبها إلى تخصص طبيعي وبشري وما يندرج تحت ذلك من تخصصات فرعية وهذا الرأي ربما يجانبه الصواب إذا علم أن العلوم الحية هي التي تقدم أبحاثا فيما استجد من التغيرات فإذا كان المهندس تتعدد اهتماماتهم لتصل إلى الهندسة الزراعية والهندسة المرورية فإن الجغرافيا أولى في معالجة مواضيع تخضع لميدانه وفق الاقتران الذي تفرضه التغيرات الحديثة، فلم نكن نسمع في الخمسينات من القرن المنصرم ما يسمى بالجغرافيا الطبية ولا جغرافية الترويح وغيرها، والتي طورت ليكون لها مناهج وأساليب بدلا من أن تكون إيرادات في كتب الفكر الجغرافي.

والسبق الجغرافي في دراسة مواضيع جديدة له قيمته في وضع لبنات لدراسات متخصصة غير جغرافية لجزئيات تفصيلية داخل هذا الموضوع فمثلا عندما يتصدر الجغرافي لدراسة وادي الرمة وارتباطه بالتعايش مع سكان المنطقة التي يجري فيها كموضوع يدرس لأول مرة يمكن أن تكون من نتائج هذه الدراسة تقويم هيدرولوجية المياه ونقاط الخطورة على المنشآت المحيطة به، وبهذا فتح الجغرافي للمتخصص الزراعي والهندسي البحث والمتابعة والتعمق في تلك النتائج الجزئية التي توصل لها.

ثانيا : التحليل والمناقشة لمكانة الجغرافيا ضمن منظومة العلوم

تعيش الجغرافيا مرحلة مد وجزر بين الجغرافيين أنفسهم ما بين ممجد لإنجازاتها وإسهاماتها التنموية وبين قلق على ميدانها المستقبلي وبالتالي إمكانية صمودها أمام بقية العلوم، ولاشك أن هناك نقاط ضعف أو قصور من شأنها حجب الإمكانات المتميزة للجغرافيا كعلم يحقق كثيرا من الحقائق العلمية عن تفاعل الإنسان مع بيئته. ويفعل ذلك شخصية الجغرافي المسؤولة عن الانهزامية العلمية في شكل مجموعة من المعطيات التي اصطبغ بها – بعضا من الجغرافيين - مكرسين بذلك الافتراض بأن الجغرافيا علم بلا هوية. ويمكن مناقشة هذه المعطيات بعد أن تم استطلاع الرؤى لعينة جغرافية متعددة المشارب ومختلفة في مؤهلها العلمي:

٢-١: اتساع محتوى الفكر الجغرافي

تظهر بيانات جدول (١) تباينا واضحا بين أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدارسات العليا في رؤيتهم حيال الاتساع المعرفي للجغرافيا بمقدار يزيد عن الضعف، وربما يعود هذا إلى جملة أسباب:

جدول (١) اتساع محتوى الفكر الخاص بفروع الجغرافية

متخصصو الجغرافيا / الرؤية المرصودة	أعضاء هيئة التدريس %	طلاب الدراسات العليا %
عالية جدا	**14.3**	**33.3**
عالية	**42.9**	**53.3**
متوسطة	**28.6**	**6.7**
منخفضة	**14.3**	**6.7**
منخفضة جدا	**-**	**-**

المصدر: الدراسة الميدانية.

١) أن تحديد التخصص الدقيق لدى أعضاء هيئة التدريس هيأ لهم تضيق دائرة محتوى الفكر الجغرافي بحيث اقتصرت أبحاثهم على الفلسفة الفكرية للتخصص ذاته، بينما شكلت قضية عدم اتضاح وتحديد طلاب الدراسات العليا لتخصصاتهم الدقيقة مجالا في التبحر والغوص في أدبيات فلسفية لأغلب الفروع مما جعله متسعا تزيد عن الضعف (٣٣,٣%) عما هو عليه عند أعضاء هيئة التدريس.

٢) تشكل قضية النضج المعرفي في التخصص الجغرافي لدى أعضاء هيئة التدريس محورا ذو تأثير على رؤيتهم حيال عدم اتساع محتوى الفكر الجغرافي جدول (١)، وهذا ناجم عن قدراتهم على قولبة وتعيين المادة الجغرافية الرصينة التي يمكن أن تنسب إلى الجغرافيا، واستبعاد الهش المتاح الموجود ضمن منظومة الفكر الجغرافي من الطرح أو الاستدلال المعرفي الذي ربما يرجع إليه بعض طلاب الدراسات العليا.

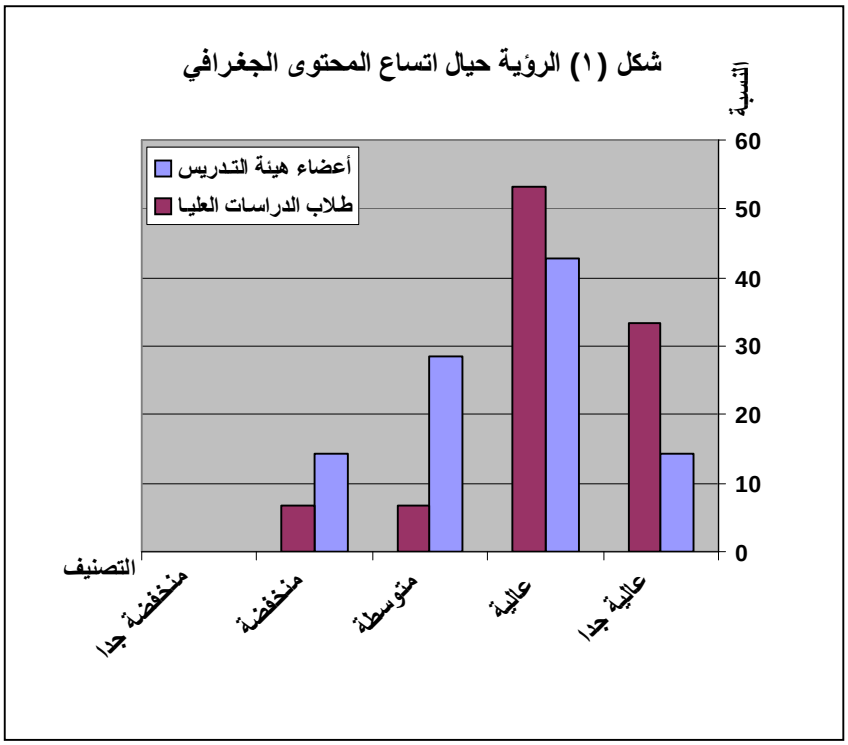

٣) تظهر صورة الاستطلاع شكل (١) أن هناك معاناة يجدها طلاب الدراسات العليا ونسبة من أعضاء هيئة التدريس في الاستفادة من معطيات الفكر الجغرافي، وربما أرجع بعض الباحثين ذلك إلى أن ما أصاب الجغرافيا من غبن مرده إلى طريقة التعلم الخاطئة التي كرست في المراحل التعليمية وبالذات الجامعية؛ فمعظم العلوم إن لم يكن جميعها بنيت على أسس في القياس والاستدلال؛ فالرياضيات على - سبيل المثال - هي ليست عمليات حسابية آلية ، بل منطق و سياقات تفكير (العمر، ١٤٢١، ص١) يمكن أخذها عن طريق الترابط الفكري بين فروع العلم وما يقابله من نظريات تخدم أهداف الجغرافيا.

٢-٢: التكامل بين البحث الجغرافي والفكر الجغرافي

تأخذ هذه القضية كأساس في البحث صورا متباينة بين رؤية متخصصي علم الجغرافيا جدول (٢). وهناك منطلقات تقف وراء تلك الرؤى والتي يمكن إجمال أبرزها في:

١) أبرزت نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس ٤١,٧% أن التكامل بين البحث والفكر الجغرافي يكاد يكون منعدما لدى نسبة عالية من الجغرافيين، وهذه الرؤية ناتجة عن مزيد اطلاعهم على الأبحاث المقدمة لهم بغرض التحكيم العلمي الذي يتاح للكثير منهم، أو بالمتابعة لأدبيات تلك الأبحاث في أطرها النظرية والمنشورة في أوعية ومنافذ النشر العلمي.

٢) سجلت نسبة أعضاء هيئة التدريس التي ترى أن هذه القضية تأخذ مرحلة وسطية ٥٠% وهذا بوحي بأن هذه الرؤية نابعة من وجود النوعين من الأبحاث التي

تعنى ولا تعنى في الوقت نفسه بالتكامل بين البحث والفكر الجغرافي.

جدول (٢) انعدام التكامل بين البحث والفكر الجغرافي

متخصصو الجغرافيا / الرؤية المرصودة	أعضاء هيئة التدريس %	طلاب الدراسات العليا %
عالية جدا	41.7	6.7
عالية	8.3	33.3
متوسطة	50.0	40.0
منخفضة	-	20.0
منخفضة جدا	-	-

المصدر: الدراسة الميدانية.

٣) أخذت رؤية طلاب الدراسات العليا حيال واقع انعدام التكامل بين البحث والفكر الجغرافي درجة تراوحت بين العالية والمتوسطة جدول (٢)، وهذه الرؤية تتوافق مع الجرعات البسيطة التي تلقاها طلاب الدراسات العليا في مرحلة البكالوريوس، حيث لم يتمكنوا من توظيفها في أبحاثهم أو مخططاتهم في بحث الماجستير والدكتوراه. وتبين أن كلما ارتفع الحس الجغرافي لدى طلاب الدراسات العليا أعطى نتائج أعلى في الترابط أو التكامل بين البحث والفكر الجغرافي، وهذه العلاقة طبيعية وتبين مدى ما يجده هؤلاء الطلاب من قصور للفكر الجغرافي الذي يمتلكونه عند قراءة البحوث المقدمة من بعض أعلام الجغرافيين.

ولاريب أن اتساع الفجوة بين البحث الجغرافي والمخرجات – السابقة المنشورة - المتاحة في الفكر الجغرافي هو عامل مؤثر في تطور الجغرافيا؛ فالعلوم - كما هو معلوم – هي تراكم

معرفي يكون عبر سلسلة زمنية لا انقطاعات فيما بين ما أضيف سابقا وما يراد إضافته في الفترات اللاحقة. ولربما تؤدي هذه الفجوة إلى تكرار للبحوث العلمية في عناوينها وربما منهجياتها، وهنا يصل ويدب الهوان في ماهية علم الجغرافيا لدى متخصصي العلوم الأخرى

٤) شكل عدم التوازي لدى الباحثين عموما في كتابة البحوث الجغرافية بين المادة العلمية التي تم جمعها والأطر النظرية أداة في ضعف البناء الفلسفي للبحث الجغرافي، فتجد الباحث يصرف جل أوقاته في كيفية تحليل البيانات إحصائيا ومكانيا دون النظر إلى علاقتها بالمجال النظري الذي يمكن أن يؤثر في تلك البيانات الميدانية، وهنا تكون المعالجة بلا معايير و قوانين تحكمها، وكأن الباحث هو أول من رصد تلك الظاهرة وتوصل إلى النتائج التي تحكمها مع محيطها الطبيعي أو البشري.

٢-٣: مكانة الرؤى الإبداعية في البحوث الجغرافية التطبيقية

تتباين الأبحاث الجغرافية في حجم الإضافات العلمية إلى المعرفة حسب متغيرات لا يتسع المجال لسردها هنا، منها ما يتعلق بقدرات الباحث وعنوان البحث والمادة العلمية التي تم جمعها وغيرها. ومن خلال استطلاع النتائج التي أخذت من عينة الدراسة حيال ذلك وجد التالي:

١) كانت نظرة أعضاء هيئة التدريس لهذه الجزئية منحسرة ما بين الفئات العالية والمتوسطة جدول (٣)، وهذه النظرة المأخوذة عن متخصصي الجغرافيا توحي بوجود مشكلة تتمثل في هدر علمي

في الفكر الجغرافي الناتج عن الأبحاث التطبيقية الرصينة، وهو ما يتطلب المعالجة الآنية.

جدول (٣) تبعثر الأفكار والرؤى الإبداعية في البحوث التطبيقية دون المبالاة بجمع شتاتها

متخصصو الجغرافيا / الرؤية المرصودة	أعضاء هيئة التدريس %	طلاب الدراسات العليا %
عالية جدا	14.3	33.3
عالية	35.7	20.0
متوسطة	50.0	26.7
منخفضة	-	20.0
منخفضة جدا	-	-

المصدر: الدراسة الميدانية.

٢) ترتفع النسبة لدى طلاب الدراسات العليا في الفئات العالية لتسجل في مجموعها (٥٣,٣%)، ولربما كان ذلك بسبب الصعوبات التي يجدها طلاب الدراسات العليا في رصد وتجميع ما يعنيهم من أفكار إبداعية يستطيعون الانطلاق معها في كتابة أبحاثهم. ويعد تسجيل ما نسبته ٢٠% من طلاب الدراسات العليا الرؤية المنخفضة شكل (٢)

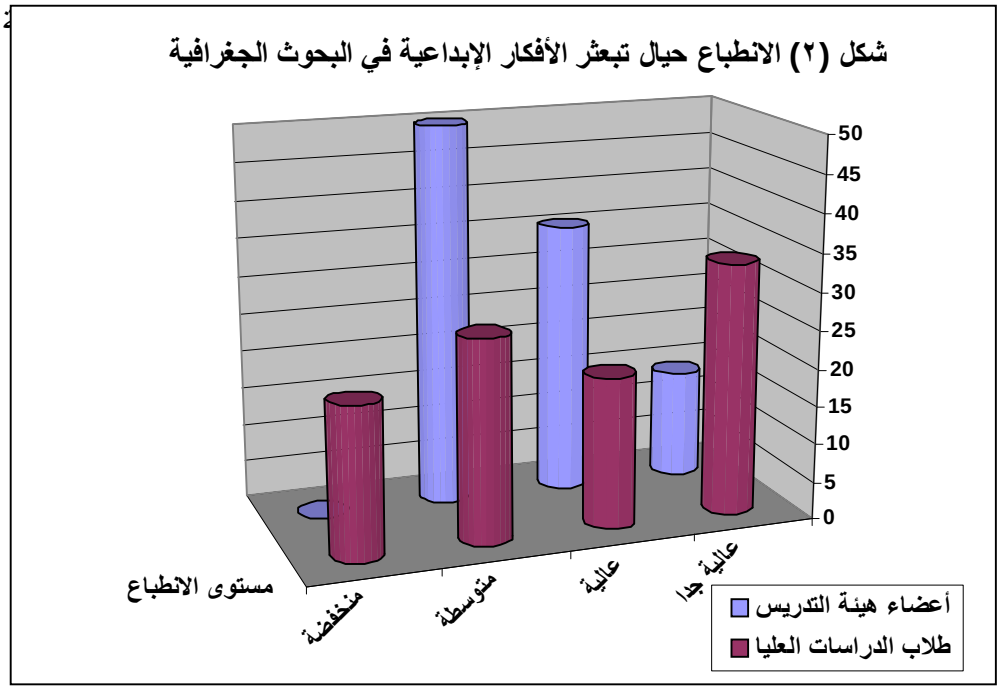

ويمكن للأفكار الإبداعية تحقيق مكاسب لعلم الجغرافيا وبالتالي ارتفاع مكانته بين العلوم بالمقدار الذي يضاف دوريا لمصفوفة الفكر الجغرافي المحض الرئيس لمثل تلك الإبداعات. ولا شك أن هذه الإبداعات في الطرح ستكون نبراسا للباحثين الجغرافيين الجدد الذين سيتأثرون ويثرون بالتالي تخصصهم.

٢-٤: كيان المدرسة الجغرافية العربية

شكلت قضية تبعثر المادة الإبداعية في الجغرافيا في الوطن العربي - كما جاء في النقطة السابقة - معضلة لدى المختصون من أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا، ولعل دور الجمعيات الجغرافية العربية في معالجة هذه الفضية يكاد يكون غائبا وهذا ما يتضح في بيانات جدول (٤)، وهذه النتائج الثنائية في تشخيص المشكلة توحي بالتالي:

١) أن نشر الأبحاث في أوعية المعلومات المتعددة لا يمكن أن يكون بديلا لجمع شتات الفكر الجغرافي الإبداعي؛ فالأبحاث متباينة قي قيمتها الموضوعية ومنهجياتها العلمية وبالتالي في مخرجاتها، فليس كل بحث فيه إبداع، خاصة وأن النمطية قد شكلت نسبة كبيرة في الأبحاث الجغرافية. ومحدودية انتشار الأبحاث المنشورة يعيق اختراقها للآفاق المكانية في الوطن العربي.

٢) تعد عناية الجمعيات الجغرافية بجمع هذا الشتات الإبداعي فيه رد على المشككين بإمكانية وجود مدرسة جغرافية عربية، وهذا ما نلمسه من بعض المحسوبين على الجغرافيا بأنه لا يمكن أن توجد أو تتبلور لدينا مدرسة جغرافية عربية كما هو عند الآخرين.

جدول (٤) انخفاض دور الجمعيات الجغرافية في تبني مدرسة عربية تضم الفكر الجغرافي الإبداعي المعاصر

متخصصو الجغرافيا / الرؤية المرصودة	أعضاء هيئة التدريس %	طلاب الدراسات العليا %
عالية جدا	**28.6**	**46.7**
عالية	**35.7**	**20.0**
متوسطة	**35.7**	**20.0**
منخفضة	-	**6.7**
منخفضة جدا	-	**6.7**

المصدر: الدراسة الميدانية.

٣) يمكن أن نتساءل كيف سيكون لدينا انتماء لعلم الجغرافيا، إذا كان ثلثي طلاب الدراسات العليا (٦٧,٧%) يرون أن الجمعيات الجغرافيا غير عابئة بهذا الجانب جدول (٤)، والذي بدوره سيجعل من تطور علم الجغرافيا ورفع مكانتها بين العلوم غير متاحا في ظل الغياب عن الحصيلة العلمية الجغرافية الإبداعية من المحيط إلى الخليج وجمعها في أوعية معلوماتية متاحة للجميع في شكل منشورات دورية، تعنى الجمعيات بجمعها وتنقيحها وتحكيمها قبل إدراجها ضمن مخرجات المدرسة الجغرافية العربية.

٤) ساهم انتماء كثير من طلاب الدراسات العليا إلى عضوية الجمعيات الجغرافية العلمية في تحديد الدور المناط بالجمعيات الذي يرى فيه ٤٦,٧% بأنه لا يزال بعيدا عن التطلعات المأمولة.

٢-٥: الآليات الداعمة لرفع مكانة الجغرافيا بين العلوم

يتحدد في جدول (٥) بعض الآليات التي يمكن بها دعم مكانة الجغرافيا ضمن المنظومة العلمية من وجهة نظر المختصين في الجغرافيا (أعضاء هيئة- طلاب دراسات عليا). وتبرز في هذه الآليات حقائق يمكن استعراضها بالتالي:

١) شكلت العناية بالتمثيل الخرائطي المستند إلى تقنية الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات كمتغير يضاف إليه البحث في موضوعات الساعة المحققة للمشاركة في التنمية المستدامة أهم المتغيرات التي يمكن بها الذود عن مكانة العلم بمعدل وزن نسبي بلغ ١٤٥ ، وهذا بلا شك رؤية متوافقة مع المساهمة الفعلية التي تجعل السبق والحضور العلمي متاحا ضمن بقية العلوم.

٢) سجل دعم الاستراتيجيات التنفيذية - لدى أصحاب القرار- باعتباره محصلة للبحوث في الظاهرات الجغرافية نقاطا بلغت ٧٨ ضمن مجموعة المتغيرات في جدول (٥). ويعد هذا المتغير قادر على مسح الصورة الكلاسيكية لعلم الجغرافيا التي سادت عند الكثيرين، والجغرافي لديه إمكانات تؤهله لرسم الاستراتيجيات التنفيذية في محاور التنمية الطبيعية والبشرية باعتبار قدراته على الربط بين المكان والزمان وصور العلاقة القائمة بينهما.

٣) ترتكز أصول العلوم واستمراريتها الفلسفية على مقدار المساهمة في بناء النماذج والنظريات التجديدية لسلوك الظاهرات الجغرافية وهذا ما جعل الوزن النسبي لها يقع في مرتبة متقدمة بين المتغيرات بلغ (٦٧,٥). وهذا المتغير ذو ارتباط بالفكر الجغرافي الذي يضمن الأسس التي يركز عليها في بناء النموذج والنظرية.

جدول (٥)

الآليات الداعمة (مقترحات) لمكانة الجغرافيا بين العلوم من وجهة نظر المختصين في الجغرافيا

رتبة المتغير ضمن الأسباب الداعمة لمكانة الجغرافيا / طبيعة المتغير	أعضاء هيئة التدريس	طلاب الدراسات العليا	المعدل
الاستناد على الأسلوب الكمي (الرقمي) في عقد المقارنات وتحديد التباينات المكانية	٣٥,٥	٣٣,٥	٣٤,٥
العناية بالتمثيل الخرائطي بالاستناد إلى تقنية الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات	١٢٥	١٦٦	١٤٥
استقصاء المعرفة الجغرافية عبر المدارس التراثية والمعاصرة	١٨,٥	٧١,٥	٤٥
دعم الاستراتيجيات التنفيذية - لدى أصحاب القرار- التي تعد محصلة البحوث في الظاهرات الجغرافية	٨٩,٥	٦٦,٥	٧٨
التعمق في الأدبيات المرجعية للتخصص الدقيق في كتب الفكر الجغرافي	١٩	٣٨	٢٨
المساهمة في بناء النماذج والنظريات التجديدية لسلوك الظاهرات الجغرافية	٣٥	١٠٠	٦٧,٥
التركيز على المنهجية الاستنتاجية في صياغة أبعاد وفرضيات المشكلة البحثية	٥٥,٥	٣٣,٥	٤٤,٥
جمع الأطروحات والإبداعات المتميزة في كل تخصص دقيق لتكون نواة لمدرسة جغرافية عربية	٥٥,٥	٣٣,٥	٤٤,٥
البحث في موضوعات الساعة الجغرافية لتحقيق مشاركة في التنمية المستدامة	١٢٥	١٦٦	١٤٥

المصدر: الدراسة الميدانية.

٤) أخذ المتغير الذي يلامس جدوى العناية بالفكر الجغرافي مرتبة مقبولة ضمن المتغيرات؛ فاستقصاء المعرفة الجغرافية عبر المدارس الثراثية والمعاصرة وما سجله من وزن نسبي بلغ (٤٥) يعد ثمرة لتأصيل الفكر الجغرافي في الأبحاث حتى تدعم مكانة العلم الذي لا تكفي الأفكار الجغرافية المتداولة في العصر الحالي إثبات جدارة ومكانة الجغرافيا بل الجمع بينهما.

الخاتمة والتوصيات:

تعاني الجغرافية كتخصص يتسم باتساع الميدان من ضعف التعمق في المعالجة الموضوعية والناتجة عن ندرة أعداد الجغرافيين في أغلب هذه الميادين القادرين على سبر أغوار الظاهرات التي يقومون بدراستها في شكل دراسات متتابعة لنفس الظاهرة الأمر الذي يمكنهم من الخلوص إلى نتائج أكثر رصانة وأقدر على المشاركة في برامج التنمية وبالتالي رسم مكانة أكفأ لعلم الجغرافيا أسوة بالعلوم الأخرى. وقد خلص البحث إلى نتائج ومنها:

١) ساهم اتساع محتوى الفكر الجغرافي في وجود معضلة في تتبعه، سيما للمبتدئين الذين لم تتضح تخصصاتهم الدقيقة؛ مما جعلهم يتبحرون ويغوصون في أدبيات فلسفية لأغلب الفروع.

٢) أظهرت النتائج أن التكامل بين البحث الجغرافي والفكر ضعيفا، وهذا له تبعات علمية ومنهجية من شأنها أن تبقي المخرجات أقل جودة، وهو ما سينعكس بالتالي على مكانة علم الجغرافيا.

٣) أوحت النتائج إلى وجود هدر علمي للأبحاث التطبيقية الرصينة، المتمثل ببقائها على أرفف

المكتبات دون الاستفادة من مضمونها من جهة وإضافتها إلى مصفوفة الفكر الجغرافي من جهة أخرى الأمر الذي جعل الكثيرون يتساؤلون عن ماهية العلم وجدواه التعليمية.

٤) لم يشد أغلب مختصو الجغرافيا بدور الجمعيات الجغرافية في انتشال الجغرافيا وضعف دورها في تبني مدرسة عربية، من خلال جمع الأطروحات المتميزة. وهذه النتائج يمكن أن تطرح لها بعض التوصيات التي من شأنها إبراز مكانة العلم.

- تسويق مخرجات التخصص لا سيما في الأبحاث التطبيقية الرصينة لأصحاب القرار المعنيين بدراسة وتنفيذ البرامج التنفيذية للمسارات التنموية التي عني الجغرافيون بمعالجتها؛ بغرض تقليص الهدر العلمي لتلك المخرجات من جهة وإضفاء القيمة العلمية للتخصص من جهة أخرى.

- إعطاء طلاب الدراسات العليا جرعة إضافية في فلسفة الفكر الجغرافي أثناء الدراسة التمهيدية لمرحلة الماجستير والدكتوراه.

- ينبغي للجمعيات الجغرافية إعطاء المخرجات العلمية في الأبحاث الرصينة مزيد عناية ونشرها في آفاق أوسع، وهذا من شأنه أن ينمي لدى الباحثين قيمة الأصالة والجدية والإبداع في معالجة الموضوعات الجغرافية.

- أهمية عقد لقاءت جغرافية تعنى بقضايا التفاعل المنهجي بين البحث الجغرافي وآلية نهل المعلومات من الأفكار الجغرافية المتاحة.

- دراسة جدوى الآليات التي تضمن دعم علم الجغرافيا لتبني استراتيجية تطبيقية تطويرية تحقق المكانة المنشودة.

المراجع:

- الجخيدب. مساعد بن عبد الرحمن، (١٤٢٢هـ)، **أحجام المراكز الحضرية وامتداد أقاليمها الوظيفية بمنطقة القصيم**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

- الحميدي، عبد الله بن عبد العزيز، (١٤١٣هـ)، تعديل الصيغ الرياضية المستخدمة في تطبيق قاعدة الرتبة والحجم في جغرافية المدن، **الكتاب العلمي للندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية**، الجزء الثاني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص ص٤٣٠-٤٨٥.

- العمر. مضر خليل، (٢٠٠٧م)، أزمة الجغرافيا في طريقة تدريسها وليس في مادتها في :

http://www.arabgeographers.net/vb/showthread.php?t=2953

- الفرا. محمد علي، (١٤١٠هـ)، التنظير في الفكر الجغرافي الحديث، رسائل جغرافية (١٣٩)، **الجمعية الجغرافية الكويتية**، الكويت.

- مكي، محمد شوقي ، (١٤١٥هـ)، مناهج البحث في جغرافية الحضر، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز (العلوم التربوية)**، مجلد :٨، ص ص ١٥٩-١٨٨.

- المنيس، وليد عبد الله (١٤١٠هـ)، جغرافية الحضر: دراسة منهجية لجهود العلماء المسلكين في تطويرها، **حوليات كلية الآداب** رقم (١١)، جامعة الكويت.

- المنيس، وليد عبد الله (١٤١٢هـ)، جغرافية الحضر عند المدارس الغربية، **حوليات كلية الآداب** رقم (١٣)، جامعة الكويت.